القصة الثانية

الحسناء

عبدالعال رجل من الزمن الجميل ولد في احدي محافظات الجنوب فى اسرة فقيرة الحال ، لم ينل حظاً كافياً من التعليم ويعمل لدي الناس فى الأراضي الزراعية بنظام اليومية من شروق الشمس حتى أذان العصر وليست كل الأيام متاح فيها العمل ورغم ذلك تشققت يداه وأصبحت الحفر والعلامات فيها مثل تضاريس الكره الأرضية ، ورغم الشقاء الذى رسم ملامحة على تفاصيل جسدة وملابسة الرثة الموصوله ببعضها البعض برقعات تحيكها زوجته حتى تستر جسده وكان لدية عزة نفس وكرامه وترفع عن طلب العون والمساعدة من الأخرين ما يستحق التدريس فى الجامعات ليكون نموذجا يحتذى به الأخرين وقد كان من الصالحين المحافظين على فروضهم الأيمانية ويشهد له الجميع بالأمانه وحسن الخلق وأثناء عودة عبدالعال الى منزله يقوم بتجميع الحشائش الخضراء للجاموسة التى يملكها فى منزله ويقتات منها اطفاله الخمس وزوجته صاحبة القلب الكبير فهى تهون عليه التعب وتزيل ما به من هموم وغموم رغم انها تحترق من الداخل لكثرة احتياجات المنزل والأطفال وامكانيات زوجها المحدودة وهذة خصال الكثيرات والكثيرات من بني جلدتها فى المجتمعات المماثلة فهى دوما السند والعضد للزوج والصبر دوما هو عناوين عريضه لحياتهم وذات يوم طرق الباب فقام عبدالعال لرؤية من الطارق وكان صديقه محروس فرحب به وأدخله الى غرفة الجلوس المتواضعة وقام بالتنبيه على زوجته بعمل مشروب الشاى

كونه المعيار الرسمي فى الترحيب بالضيوف فى المجتمعات الريفية وجلسوا يتحدثون سويا فى الأمور الحياتيه وتحدث عبدالعال مع صديقة محروس عن رغبتة فى السفر الى مصر (القاهرة) لضيق المعيشة وقلة الرزق والأحتياجات التى تتزايد يوما بعد يوم وعدم توفر العمل بشكل دائم حيث اصبحت الرقعة الزراعية محدوده بعد تغلغل المباني عليها وقال له محروس وكيف ستترك اطفالك وهم صغار واكبرهم عنده سبع سنوات وابلغه بانه لا بديل من السفر وان زوجته ارجل من الكثير من الرجال وانه غرس فى ابنه الرجوله ويستطيع تلبية طلبات أمه وان المهم هو الحصول على الفلوس وابلغه محروس بانه سيساعده فى ذلك الأمر واعطاه عنوان شخص فى القاهرة اسمه منصور كان زميلا له فى فترة التجنيد يعمل فى مجال المقاولات وانه سيساعده فى البحث عن العمل والمبيت واعطاه العنوان فى ورقة وشكره عبدالعال وانصرف محروس بعد الأنتهاء من أحتساء الشاى .

وداعبت الفكرة عبدالعال طيلة الليل وهو يتقلب فوق الحصير يمينا ويسارا وتراقبه زوجته فى صمت كونها لم تتجرئ على التحدث معه فى أى أمر حسب ما تعلمته من سلوكياته منذ ارتباطها به الى ان طلع الصباح وقال لها جهزى لى الهدوم انا خلاص ناوي اروح مصر واشتغل هناك وهنا كانت الكلمة لها وقع السيوف فى نحر زوجته وقالت له لمن تتركنا قال لكم الله وانا مسافر مصر اشتغل وان شاء الله هاجيلكم كل شهر ولكن لا يمكن الاستمرار هكذا فالوضع كم ترين يوم يتوفر فيه فرصة عمل وعشرة ايام لا يوجد عمل وادعي الله ان يرزقنا حتى نوسع على أبنائنا وقامت الزوجة بتلبية طلب زوجها وقبل الزوج ابنائة والدموع فى اعينهم اما عبدالعال فقد تعود القسوة فى التعبير عن مشاعرة ولم يهتز لهذا الموقف حتى لا يكون ضعيفاً أمام أبنائة وطلب من الأبن البكر أن يكون رجل البيت مكانه

وان يلبي طلبات أمه وأخوته وسيقوم بارسال الفلوس لهم حتى يشترون كل ما تهفوا له أنفسهم ذهب عبدالعال الى محطة قطار الركاب وصعد فى الدرجة الثالثه المكتظة بالركاب وكأن القطار لم يترك على اليابسة بشر أخرين وظل واقفا على رجلية أكثر من عشر ساعات ويري من نافذة القطار صور وملامح بشر وأماكن ومزارع ومحاصيل مختلفة على جانبي شريط السكة الحديد الى ان بدأت ملامح البنايات والعمائر التى لم يشاهدها فى حياته من قبل وما بين الرهبة من المجهول والرغبة فى التحسين والتغيير تتضارب المشاعر المأساوية التى يعجز اى كاتب توصيفها بسهوله مهما بلغ به الخيال والقدرة على التعبير وقف القطار فى محطة رمسيس ونزل عبدالعال ممسكاً بيدة ورقة طوق النجاة مكتوب فيها عنوان منصور ابودهشان زميل صديقة محروس فى فترة التجنيد وقام عبدالعال بسؤال احد الاشخاص عن العنوان وقاموا بوصف العنوان له واستطاع بعد عناء وتعب ان يصل الى العنوان ووجد الريس منصور ابودهشان كما يلقبه اهل الشارع جالسا أمام أحد العمائر تحت الأنشاء على كرسي خشبي وامامه مكتب صغير وتعرف عليه وعرفه بنفسه وكان الرجل سعيداً به وأحسن أستقباله فقد ذكرة بزميلة فى فترة التجنيد وهذه الفترة دوما ترسخ فى اعماق ونفوس البشر وقال له لقد وصلت الى المكان الصحيح انا اعمل سمسار عقارات واقوم بالمشاركة فى بناء بعض العمائر بنظام الحصص وسأجعلك تعمل معى والان سأذهب بك الى غرفة قريبه من هنا تستريح فيها من وعثاء السفر وطول المشوار ومن الغد ستبدأ ان شاء الله العمل فرح عبدالعال فرحاً شديداً ان هداه الله الى الريس منصور واستلقي لأول مرة فى حياته على مرتبة فوق سرير حديدي مفرد لم يشاهده فى حياته من قبل ولم يشعر بنفسه الا وهو يغط فى سبات عميق وبينما هو يحلم بحياته الجديده التى تم تخزينها فى العقل الباطن اذا بطرق

على الباب فنهض من النوم واستيقظ من الحلم الجميل وفتح باب الغرفه ليشاهد الريس منصور وقد احضر له الفول والخبز المصري والبصل الاخضر والطعمية وقال له تناول فطورك لقد وصلت الساعه السابعه واليوم ستبدأ يا بطل.

تناول عبدالعال وجبة الفطار ومع كل لقمة تدخل جوفه يتذكر ما مر به من ظروف هو وعياله جعلته يفكر فى قرار الرحيل والبحث عن عمل جديد ، وبعد ان انتهي من الفطار ارتدي ملابس العمل وذهب برفقة الريس منصور وقام بالعمل فى تخليط الاسمنت واعمال البناء وانتقل عبدالعال من مرحلة الزراعه والفأس والمحراث البلدى الى الطوب والاسمنت والرمل ، كلاهما شقاء وتعب ولكن عند الرغبة فى التغيير لا بد من التحمل والجلد ولقوتة الجسمانية استطاع اثبات وجوده وفرح فى نهاية اليوم عندما وضع الريس منصور فى يده عشرة جنيهات كامله كان يتقاضاها فى ثلاثه ايام متقطعة عندما كان يعمل فى الزراعه . مر عشرة ايام استطاع فيها عبدالعال توفير تسعين جنية لم يكن يتحصل عليها فى شهر كامل وطلب من الريس منصور ان يقوم بارسالها لصديقه محروس عن طريق البوسطه لكي يقوم بإعطائها لعياله واستغرب الريس منصور من توفير المبلغ مازحا مع عبدالعال وقال له (ايه عبدالعال هوه انت مش بتصرف ولا ايه) فقال له عبدالعال كيف لى ان اصرف وهناك افواه شاغرة تنتظر وضحكا سويا وقال له الريس منصور تعال معى يا عبدالعال حتى تتعلم كيف تقوم بالأمر بنفسك لاحقاً وذهبا سويا الى البوسطه وقام بارسال المبلغ لصديقه واتصل به من تليفون البوسطة وطلب منه ان يقوم باستلام المبلغ واعطائة لأسرتة.

فى اليوم التالي كان بشير الخير يطرق الباب على منزل عبدالعال وخرج الابن البكر وتقابل مع العم محروس واعطاه المبلغ الذى

ارسله والده وشكره وقام باعطاء المبلغ لوالدته فحمدت ربها وسجدت شكرا ونسيت احزانها لفراق زوجها وعدم سماع اخباره وقلقها عليه طيلة العشر ايام ، دارات الايام وعبدالعال يعمل بإجتهاد حتى أستطاع توفير مبلغ وقام بفتح حساب فى البوسطة ويرسل مصاريف لعياله حتى وصل الى ست شهور كامله وعاد الى منزله فى اجازه سريعة ليري اولاده ويشبع روحهم الظمئة الى لقائة بعد أن شبعت بطونهم وقام بشراء ملابس جديده لهم بعد ان تغيرت الأحوال وفرحوا فرحاً شديداً بعودتة وبقي معهم لمدة اربعة ايام تقابل فيها مع محروس واهل القرية وعاد بعدها الى القاهرة واستمرت حياته على هذا المنوال يعمل ويجتهد ويوفر المبالغ ويذهب الى اسرتة كل شهر محافظا على فروضه وطاعاته الايمانية وكان كل يوم يثبت رجولته مع الريس منصور الى ان اصبح الساعد الأيمن له واستطاع عبدالعال فى ثلاث سنوات ان يجمع مبلغ من المال دخل به بنظام المشاركة فى احد البنايات بنظام الحصص وكان فاتحة خير له فقد ربح من السهم مبلغ وفير اشترى به احد الشقق فى أحد الأبراج لكي يقوم بتأجيرها ويتحصل منها على مبلغ شهرى بالاضافة الى عمله.

تم تأجير الشقه الى سيدة حسناء فيها من ملامح الجمال ما لا يصدقة عاقل فقد كانت احدى النساء من الجنسيات العربيه التى تحضر سياحة الى مصر شهر او شهرين فى العام ويبدوا انها أعجبت بعبدالعال واسلوبه فى التعامل وتكررت الاتصالات عليه بين فينة وأخري بدعوى طلبات صيانة فى الشقة حتى وقع المحظور واستسلم فى لحظة ضعف بشري لنزواتها فكانت الكبيرة التى لم يكن يتخيل يوماً أنها ستحدث له فقد كان ملتزما ايمانيا ولا يضيع الفرائض لكن ضغوط الحسناء واغراءتها وجمالها الساحر لم يتمكن امامه من السيطرة على زمام نفسة واصبح الأمر الأقرب للأغتصاب منه الى لحظات حميمية تشبع رغباته مع الحرمان الذى عاشة فقد اصبح

بعيدا عن زوجته منذ فترة زمنية ليست بالقصيرة وفتيات المدن لديهن من المقومات ما لا يوجد فى قريتة الصغيرة التى نشأ فيها وتكررت اللقاءات فيما بينهما حتى انتهت الحسناء من رحلة استجمامها وسافرت الى بلدها وبعد سفرها شعر عبدالعال بتأنيب الضمير فقد كان يبكي بدل الدموع دم فقد اصبح خائنا لزوجته التى تحملت معه مشاق الحياة وكابدتها واصبح خائنا لربة بالذنب العظيم الذى تئن منه الجبال الراسيات وكلما راودته ايات الرحمة هاجمته ايات العذاب وكانت سورة النور فى المصحف الشريف تنطق فى وجهه حروفها وتقول له مكانك بين هذه الفئات وبعده بفترة شعر عبدالعال ببعض الالام التى تهتك باحشائة وذهب الى الطبيب ليكشف وتم اخذ عينات لتحاليل الدم والفحوصات الأخرى وظهرت نتائجها ويكتشف عبدالعال انه مصاب بمرض نقص المناعه المكتسبة (الأيدز) وعند اكتشاف الأمر ضاقت الدنيا فى عينية وهم الطبيب بإستدعاء الشرطة والجهات المختصة حتى يتم وضع عبدالعال فى مكان خاص حرصا على عدم نقل العدوي وطلب عبدالعال من الطبيب ان يؤجل تلك الأجراءت ليوم وحيد وسيترك عند الطبيب كل اثباتاته الشخصية حتى يتمكن من انهاء امورة وارسال ما حصده من اموال الى ابنائة استعدادا للحجر الصحي و وخرج من المستشفى هائما دون وعى يخبط كلتا يديه على بعضهما البعض ويقلب كفيه ويتردد على لسانه كلمة وحيده لله الامر من قبل ومن بعد وبينما هو يسير فى طريق العوده انعدم عنده الشعور بالمكان والزمان واسودت الدنيا فى عيناه وكادت الدموع أن تغرق الابصار لديه وبينما هو فى حالة الشرود تلك واذا بسيارة مسرعه قادمة من طريق فرعي تدهسة وهبط السائق من السيارة وتجمع الناس وقاموا بالاتصال بالشرطة وحضرت الأسعاف ويعود للمستشفى من جديد لكن هذه المرة طريحا لفظ انفاسة الاخيرة فى الطريق ويفارق الحياة